

كلمة :

## صرخات . . من ولماذا ؟ !

- جوكاست ( سوفوكليس ) تصرخ وهي تشق نفسها بوشاحها بعد أن تكتشف علاقتها الزوجية الآثمة بابنها أوديب . .
- إيفجينى ( يوريلدس ) تصرخ مضحكة بنفسها قرباناً لانتصار والدها أجاممنون . .
- خارميون ( فرجيل ) تصرخ في وجه أورش التي يلاحقها ويقف في طريق حيا لبيروس . .
- خيلينا ( سينك ) أميرة طروادة تصرخ في وجه سارقها باريس دفاعاً عن زوجها ميفيلاس . .
- شيان ( كورنى ) تصرخ في وجه رودريج حبيبها وقاتل أبيها . .
- أندروماك ( راسين ) زوجة الراحل هكتور الوفية له تصرخ في وجه بيروس الذى يأسرها ، وابنها أستبانكس حتى يرغبها على الزواج منه . .

- آنييس (موليير) تصرخ متمردة على مرييها العجوز أرنولف الذي يريد الزواج منها مفضلة عليه هوراس الشاب الذي يبادلها الحب . .
- الكترا (سارتر) تصرخ مع شقيقها أورست في وجه أمها كليتمنستر وعشيقتها إجييت قاتلا أباهما أجامنون . .
- متوحشة (أنوى) تصرخ في مجتمعاها الفقير الذي لا يمكنها الانتماء إلى مجتمع حبيها الثرى والزواج منه . .

\*\*\*

- مارسيل إييمه (الفرنسى) يصرخ مدافعا عن «رأس الآخرين» .
- فرانز كافكا (التشيكي) يصرخ معبراً عن غربة وغرابة واغتراب إنسان القرن العشرين . .
- بيتر فايس (الألماني) يصرخ منادياً بنظام اجتماعى ثالث غير النظامين القائمين . .
- فرناندو أرابال (الإسباني) يصرخ مندداً بضرب قرينه الآمنة جرنيكاً . .
- كاتب ياسين (الجزائرى) يصرخ مطالباً باستقلال بلاده حتى لو كان المحتل فرنسا بلد النور والحرية .

\*\*\*

- ويصرخ (جان جونييه) من أجل الجزائر في مسرحيته «المواجز» . .
- ويصرخ (دونيس كانان) من أجل فيتنام في مسرحيته «نحن أو الولايات المتحدة» . .
- وتصرخ (بربارا جارمون) ثاراً للراحل كنيدي الذي اغتاله الصهيونية داخل أمريكا . .

\*\*\*

- وفي هلوو يصرخ ( بيكيت ) أمام عجز الإنسان وتحلل عقله وفقدانه قيمه . .
- ويصرخ ( بونسكو ) أمام عجز اللغة عن توصيل المعاني والأفكار بين البشر . .
- ويصرخ ( آداموف ) أمام حقيقة كثيراً ما نساها أو نناساها : حقيقة الموت . .

• • •

- ولكنهم يصرخون جميعاً . . فوق المسرح !

لتحي العشري



## الفتاحية (برولوج)

الجنون في المسرح !

والجنون بالمسرح !

المسرح لماذا ؟ وماذا ينبغي أن يقدم اليوم ؟ ولبن يقدم ؟ وما الشكل الذي يتفق

مع روح العصر ؟

تلك هي الأسئلة التي بشرها مهرجان آفينيون الذي يقام بجنوى فرنسا في

الفترة من ١٢ من يوليو إلى ١٢ من أغسطس كل عام . أما الإجابة على هذه

الأسئلة الصعبة ، فتجىء من خلال العروض المتنوعة التي تقدم في القصور

والكنائس والمدارس والمنازل والحدائق والميادين إلى جانب المسارح المجهزة وغير

المجهزة على السواء .

وفيما عدا المسرح الدرامي والمسرح التجريبي ومسرح العرائس والباليه فإن

المسرح الموسيقى والمسرح المفتوح هما اللذان يشكلان الجديد في المسرح الفرنسي خاصة والمسرح العالمي بوجه عام نتيجة لجهود راديو باريس وإسهامه الفعال في المهرجان - يكفي أنه قدم خلال فترة قصيرة ١٩ عرضاً جديداً لتسعة عشر مؤلفاً جديداً وتسعة عشر مخرجاً جديداً أيضاً .. ولا يمكن راديو باريس بكل هذا ؛ فهو ينقل أحداث المهرجان ويغطيها على امتداد ١٧ ساعة في اليوم تتضمن الندوات واللقاءات والأحداث التي ينظمها الإذاعي النشط ديكويل الذي تساهل في بداية ندوة موسعة عن « الكنيسة والمسرح » بقوله : « أين نحن الآن ؟ وما مستقبل البشرية ؟ فبعض يعانى من الوحدة الموحشة ، وبعض ثانٍ يعانى من الجنون الخفيف ، وكثيرون مصابون بعماء البصيرة على حين أن الموت مترص بالجميع سواء عن طريق حوادث السيارات والطائرات أو تحت وإبل القتابل والصواريخ !

ولما كان المسرح هو المنبر الحر للثقافة الحبة فقد أراد أن يكون شعبياً يخاطب الطبقة العاملة ويدفع الحركات التحررية .. ولما كانت الأغنية هي فن الشعب ولغته الحقيقية فقد اعتمد عليها المسرح الموسيقى وليس الفنانى متسلحاً بكل العناصر الفنية مستفيداً من كل تطور لحق بها استعداداً لتحمل أعباء المواجهة الشاملة مع جمهور متعطش لا يفر ونقد متحفز لا يرحم : بالكلمة المكتوبة ، بالتمثيل المرئجل ، بالأداء الصامت بالرقص الإيمائى ، بالإضاءة ، بالأزياء ، بالديكور ، ثم بالموسيقى الإلكترونية ، وأيضاً بالعرى الجسدى والدينى والسياسى !

إن استعراضاً سريعاً لعدد من الأعمال قد يكون كافياً لإلقاء الضوء على طبيعة هذا المهرجان العالمي برغم محليته والذي وصل عدد رواده إلى نصف مليون مواطن وسائح ، الشيء الذى لم يحدث في تاريخ المهرجان الصينى العريق والذي دعا هنرى دوفو العمدة الاشتراكى للمدينة البورجوازية إلى قوله : « إذا كان مهرجاننا

حياً فلأنه مهرجان المثقفين والشباب .

نحن الآن في قصر الباباوات المفتوح والذي يتسع كل ليلة لثلاثة آلاف مشاهد يعشقون المسرح ، ويؤمنون به زاداً وعبادة .. ومسرحية الليلة للأديب الراحل جاك أوديرتي كتبها في عنف حرب الجزائر بعنوان « الفارس وحده » وأخرجها ابنه الروحي مارسيل ماريشال مدير فرقة ليون بوسط فرنسا . أما الفارس فهو ذلك الفرنسي المسيحي الذي يحب وطنه ، ويتعصب لتراثه ولا يقبل أن تسطو حضارته مها كانت قوية على حضارات الآخرين مها كانت ضعيفة ، وهو يستنكر في الوقت نفسه أن تسمح أمته التي تنادي بالحرية والمساواة والإخاء بأمة أخرى تملك باستقلالها وعروبها .. ولهذا يطوف بأنحاء العالم حتى يصل إلى القاهرة ودمشق والقدس فيفاجأ بحضارات عريقة ورقيقة ، ومع هذا يرفض أن يكون مسيحياً يضحى ويتعذب ثم يموت ..

ولقد استخدم ماريشال في إخراجه البساطة الشديدة تاركاً للكلمة فرصة التعبير والتأثير فاحتفظ بوحدة المكان برغم تعدد الأماكن ، واعتمد على لوحة ضخمة للفنان بيراتيوس وعلى أدائه المتمكن الرائع وخاصة في دور الخليفة .

وفي المسرح نفسه وفي الليلة التالية نفاجأ بعرض مختلف تماماً يترك الكلمة جانباً ويلجأ إلى أسلوب المسرح الشامل مركزاً على الحركات التعبيرية العنيفة برغم أن المؤلف والمخرج امرأتان هما مارجريت ليبراكى ودومينيك بوج ، كما أن مصمم الرقصات امرأة كذلك هي آن بيرانجيه ، مما يدعو إلى إطلاق تعبير « المسرح النسائي » على هذا العرض الذي لم يلق نجاحاً لوقوعه في مرة الخلط بعد أن فقد طوق النجاة المتمثل في وحدة الرؤية برغم مزجه بين أكثر من أسلوب .

وتخرج من « سباراجموس » الذي سقط بين الدراما والباليه ، لنشاهد عرضين

متالين للباليه الخالص بقاعة أوبرا آفينيون التي لا تنقل روعة وليس ضخامة عن أوبرا باريس :

الأول لفرقة آن بيرنجيه التي نجحت هذه المرة في تقديم نموذج رائع للباليه الحديث الذي يعتمد على الموسيقى الإلكترونية دون الموسيقى الكلاسيكية وعلى عدد قليل من الراقصين والراقصات لا يتعدى عدد أصابع اليدين ..

أما الفرقة الأخرى - وقد كانت أكثر روعة - فتسمى : « باليه من أجل الغد » .. قدمت أكثر من نموذج ناجح لأكثر من أسلوب جديد في عالم الباليه الحديث .. أصوات الشارع الأوربي المملوه بالحركة والضوضاء ، وكلاصات السيارات ، وأزيز الطائرات ، وسارينات البوليس والإسعاف ، وعربات الحريق التي تنفذ إلى جراج مهجور إلا من مجموعة تتدرب على حركات الباليه الكلاسيكي .. وفي (لوحة) ثانية تدور قصة حب راقصة على أنغام أغنية أمريكية حالة أحياناً ومجنونة في معظم الأحيان .. وفي (لوحة) ثالثة نشهد الباليه الصامت أو الباليه الباتوميث حيث ترقص فتانان ورجلان على إيقاع أقدامهم وحده ..

ويتقلنا نباح الباليه الحديث الملموس إلى نباح مدو حقيقته عرائس بودابست داخل الأوبرا سرعان ما انتشر في آفينيون كلها متوجاً سنوات هذه الفرقة التسع والعشرين التي تساوت بالصدفة وسنوات المهرجان نفسه .. وقد تميزت العرائس بطابعها الإنساني وحركاتها الإنسانية حتى تصور المشاهدون أنهم أمام كائنات حية ، وخاصة عندما خرجت العرائس في النهاية لتحيي الجمهور الذي ظل يصفق لها فترة طويلة ، وكانت أفضل الفقرات أمير الغابة والساحر الصني للمجري الراحل بيلا برتوك وفضلاً بدون حوار لصمويل بيكيت وبتروشكا لايجور سترافسكي .

ونصل إلى عرضين مختلفين تماماً ، ولكنها يتكلمان على المجتمع الأمريكي

ويديانه :

الأول للآفينيوني أندريه بنديتو الذى يجعل العذراء تقود سيارة أمريكية على خشبة المسرح ، ثم تقف فوقها وهي تغنى بوحشية «هؤلاء سادة المال ! هؤلاء رجال الشر ! يقتلون الماء والأرض والهواء ! يفتالون الديمقراطية ، يصفحون البشر مثلاً يفعل هذا الرجل ، ثم تشير إلى نموذج خشبي لرجل أمريكي سرعان ما يسقط ويتحطم ..

ويحمل العرض الآخر هذا العنوان « البصر في الحقل » لبرنار شاروتو وإخراج روبرت جيموتيه الذى يعرى كل ممثلاته وممثليه مثلاً يعرى البورجوازية الفرنسية والمجتمع الرأسمالى فى أمريكا .

ويهرب الجمهور من المسارح المغلقة والمفتوحة إلى الحدائق العامة حيث يستمتع بجبال وصوت آرليت تيفانى وبأداء بيير ميران وهما يقرآن على أنغام بيانو شارل لوفال أشعار بودلير وأبوللينير وإيلوار ورامبو وفرلين وغيرهم ..

إن الجنون فى المسرح هو ذلك التركيز الثورى على الفكر الجديد ، ومعارضة القديم من ناحية ، وعلى الفن إخراجاً وتمثيلاً وموسيقى وإضاءة من ناحية أخرى .. أما الجنون بالمسرح فيتمثل فى نصف مليون الزائر الذين جاءوا من أنحاء الدنيا يشاهدون فى حب وصمت ويتناقشون بصخب ، وأحياناً بعنف !